

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من دروس الدورة العلمية "بصائر ٣"

النبي صلى الله عليه وسلم مصلح وقاضٍ

(باللهجة المصرية)



لفضيلة الشيخ: د. عبد الرحمن الصاوي

رابط المادة: <http://way2allah.com/khotab-item-136613.htm>

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" آل عمران: ١٠٢.

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" النساء: ١.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" الأحزاب: ٧١، ٧٠.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد:

أيها الإخوة الكرام الأحباب، لا زلنا مع النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، ووالله يا لها من سعادة حين نتكلم عن رسول الله، ويا لها من فرحة حين نسمع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويا لها من لذة حين نعيش عيش رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فوالله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحُبك -يا رسول الله- مقرون بأنفاسي.

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا هممتُ بشرب الماء من عطشٍ إلا رأيتُ خيالاً منك في الكاس

ولا جلستُ إلا قومٍ أحدثهم إلا وأنت حديثي بين جُلّاسي

صلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وسلم تسليمًا كثيرًا.

الإصلاح أولًا

وهذا هو اللقاء الرابع في الكلام عن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، النبي -صلى الله عليه وسلم- مُصلِحٌ وقاضٍ، مُصلِحٌ وقاضٍ بهذا الترتيب، وقد تعمّدت -رغم أنه طُلب مني قاضٍ ومُصلِح- أن أقدم الإصلاح على القضاء؛ لأنَّ عَيْشَ النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يريد الإصلاح قبل أن يقضي، فما عُرض على النبي -صلى الله

عليه وسلم- أمرٌ يقضي فيه إلا أراد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يصرف أصحابه إلى أن يتعافوا فيما بينهم، وأن يسامح بعضهم بعضاً، وأن يُصلح النبي فيما بينهم، يعني حتى لو فيه قضية عُرضت على النبي -عليه الصلاة والسلام- ويعلم النبي أن أحدهما قد أخطأ في حق الآخر قبل أن يحكم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بينهما أو قبل أن يقضي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بينهما يريد النبي أن يُصلح، وهذا هو السداد في الحُكْم، وهذا هو الذكاء والحكمة في الحُكْم، بأي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله.

ولا يخفى عليكم جميعاً أن أول شيء فعله رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا وَطَّئَتْ قدماه الشريفتين مدينته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، مهاجرًا من مكة إلى المدينة، أول شيء بنى النبي المسجد، وألَّف فيه، وأصلح فيه، وأزال فيه الضغائن بين المسلمين، فالكلُّ يعرف، الصغير والكبير، والعالم والأممي، الكلُّ يعلم أن النبي **آخِي** بين المهاجرين والأنصار.

وأصلح ما بين الأوس والخزرج، حروبٌ امتدت أكثر من ٢٠٠ سنة على توافه الأمور، غِلٌّ وحقدٌ وضغناءٌ وسيوفٌ ودماءٌ وثأرٌ بين الأوس والخزرج، ليأتي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكلمات الإصلاح التي تخرج من مشكاة النبوة، التي أخذ القوة والمدد من الله -جل وعلا- الذي ألَّف بين القلوب على يدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليرسم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- درسًا في الإصلاح لكل من تبوأ مكانة الدعوة إلى الله -جل وعلا-، أو كل من تبوأ كرسي الحُكْم في أي بلدٍ من بلاد المسلمين "الإصلاح أولاً".

لا بُدَّ أن يرفع الشعار عملياً، الذي رفعه الأنبياء قاطبةً: **"إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"** هود: ٨٨.

لماذا الإصلاح أولاً؟

يريد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الإصلاح أولاً قبل أن يقضي بين الناس، ليه؟ **لأنَّ النبي بشر**، وكل حاكم يأتي وراء رسول الله، وكل داعية يأتي وراء رسول الله لا بُدَّ أن يعلم ذلك إنه بشر. لو قعد اتنين قدامه كلُّ يُدلي بِحُجَّتِهِ، وكلُّ يُخبر بأدلته، لعل القاضي يلبس أحدهما عليه غير الآخر، ممكن واحد يعرف يتكلم كويس، بيعرف يلفّ الكلام، بيعرف يحوّر في الكلام، بيعرف يعليّ صوته، بيعرف يلفّ ويدور، والتاني بسيط، فالقاضي بشر علشان كده لا بُدَّ أن يسعى أولاً إلى الإصلاح قبل أن يقضي.

النبي يعلّق قلوب المتخاصمين بالله

وحق إذا قضى لا بُدَّ أن يُعلّم الطرفين وهو يُصلح فيما بينهما أنه سيقضي وسيحكم على قدر ما يستطيع بالأدلة البيّنة أمامه، لكن كلاكما يعرف من هو صاحب الحق، فلو حكمت لأحدكما وكان الآخر له الحق فإنما قد أخذ شيئاً من جهنم.

يعني النبي كان يبتعد في مجلس القضاء صح، بس قبل ما بيقتضي بِيُعَلِّق قلوبهم بالله، يريد الإصلاح بينهما، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- كما في الحديث الثابت الصحيح، والحديث في صحيح الجامع، ورواه بعض أصحاب السنن: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ"، ده أصل، "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ.." واحد بيعرف يتكلم كويس والثاني لا، ".. وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ" صحيح البخاري، فإن شاء أخذها وإن شاء تركها.

يعني يقول لهم خلِّي بالكم أنا هحكم بينكم أهو، ده الحاكم المسلم، ده القاضي المسلم، يقول لهم أنا هحكم بينكم، وهحكم على الأدلة اللي قُدَّامِي، وهسمع منكم انتوا الاتنين، بس خلِّي بالكم لو أنا حكمت أنا بشر يخفى عليَّ ما يخفى على البشر، لو حكمت لواحد عن الثاني وكان هو الظالم يبقى جهنم والعياذ بالله.

فكان من يجلس بين يدي رسول الله ليقتضي النبي فيه يُؤَثِّرُ الإصلاح، بل ربما يتنازل عن حقه، ويسارع برد الحق إلى أصحابه حين يسمع كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

العفو والإصلاح قبل اللجوء للقضاء

وهذا هو القاضي المصلح أولاً، هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي نادى على أصحاب الحدود، واحد سرق واحد، قبل ما يوصلوا للنبي، النبي يقول لهم قبل ما تيجوا لي ساعخوا بعض أحسن، عشان لو جيتولي هحكم والحكم هِيُنْفَذُ، قبل ما تجولي للقضاء خلِّي الإصلاح أولاً.

عشان كده قُلت لك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مصلح وقاضٍ، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ- كما روى الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وصححه الألباني أو حسنه الألباني، أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "تَعَاَفُوا الْهَدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ".

يعني لِيَعْفُ أَحَدَكُمْ عَنْ أَخِيهِ، واحد ضرب واحد، واحد قطع إيد واحد، واحد آذى واحد من إخوانه المسلمين، واحد قتل واحد، واحد سرق واحد قبل ما توصلوا للنبي -عليه الصلاة والسلام- الذي سيقضي بينكم، تعافوا، خلِّي فيه إصلاح الأول، "تَعَاَفُوا الْهَدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ"، فما بلغني من حدٍ فقد وجب"، النبي يريد الإصلاح.

التوبة والستر أولاً

حتى دائماً كان يبجيلي كثير من الشباب يقول لي أنا وقعت في ذنب، وقعت في كبيرة، وعازير حد يُقيم الحد عليَّ ويجلديني، لا مش لي أنا، مش لي، بل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نفسه كان يخطب الصحابة ويقول، وهو يعلم أن هناك من الصحابة من جرَّته نفسه ودفعه شيطانه للوقوع في شيء من ذلك، التي سمَّاها رسول الله القاذورات، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال له قبل ما تجولي لأقضي فيكم بِحُكْمِ اللهِ -جل وعلا- استروا نفسكم وتوبوا إلى خالقكم، والله -جل وعلا- يقبلكم ويتوب عليكم.

كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- كما روى الحاكم والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **"اجتنبوا هذه القاذورات.."**، اللي هي الكبائر يعني الزنا، الفواحش، وغيره، **"اجتنبوا هذه القاذورات التي نهي الله تعالى عنها، فمن ألم بشيء منها.."** شوف النبي قبل ما يُقدّم القضاء يُقدّم الستر، والتعافي، والتسامح، والتصالح، **".. فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتّب إلى الله، فإنه من يُبد لنا صفحته، نُقم عليه كتاب الله"** صححه الألباني، هكذا يُؤثر النبي -صلى الله عليه وسلم- الإصلاح.

لماذا يوجد حدود في الإسلام؟

من أعجب ما قرأت ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس، ورواه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي، أن رجلاً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- في المسجد، خلى بالكم أنا عايز اللي همّ خايفين من الإسلام، وخايفين، يقول لك الإسلام ده بتاع تطبيق الحدود، انتوا عايزين تقطعوا أيادي الناس، وعايزين تبهدلوا الناس، في برنامج إذاعي مرة في التلفزيون والله سبحانه الله بقدر الله، امرأة بتقدّم البرنامج ومستضيفة اتين، فواحد بيدافع ويبدّم في الإسلام، انتوا يا مسلمين وانتوا يا إرهابيين، وانتوا يا متشددين عايزين تقطعوا أيادي الناس، لقيت المرأة اللي بتقدّم بتقول له: هو أنت متغاض ليه؟ هو أنت خايف من حاجة؟

يعني همّ هيقطعوا إيد الحرامية طب أنت خايف ليه؟ المسلمين هيقطعوا إيد الحرامية، طب أنت قلقان ليه؟ هو أنت حرامي؟ سبحانه الله أنطقها الله الذي أنطق كل شيء.

لكن أنا برضو بطمن اللي خايفين من الحدود، مثل حدود ديننا، الحدود اللي هتطبق مثلها كمثل الشرطي الذي يحرس البنك وفي يده السلاح، أيّ بنك تعدي عليه هتلاقي شرطي واقف ومعاه سلاح، هو معنى إن الشرطي واقف وإن في إيدته سلاح، وإن جواً السلاح رصاص إن معناه إنه هيموت الناس؟ أيّ حدّ معدّي على البنك ولا قدام البنك، ولا يدخل ولا يخرج من البنك هيقته؟ لا، ده قلّمًا يُخرج السلاح أصلاً، بس مجرد وجود الشرطي على الباب وفي إيدته السلاح بيوقف من يريد السرقة، يُرهب من يريد أن يسرق أموال الناس.

هي دي الحدود بالظبط، مش معنى إن في الإسلام إن فيه حدود إن احنا هنقطع أيادي الناس، لا، دا احنا بنقول للناس فيه حدود عشان محدش يسرق، إنما كيف أو متى وما هو العدد الذي طبّقه النبي -صلى الله عليه وسلم- بقضائه الإسلامي على الحدود، أنا قلت لكم في اللقاء الماضي في مقدمته كلمة الأستاذ الدكتور شيرل عميد كلية الحقوق في جامعة النمسا في مؤتمر الحقوق العالمي الذي عُقد عام ١٩٢٢ في فيينا، وجمع أكابر علماء القانون، وأكابر المستشارين على مستوى العالم، ليخرج مدير المؤتمر ليقول في مقدمته:

"لقد استطاع محمد أن يأتي بتشريع وحكم وقضاء من عند ربه قبل ألف وأربعمائة عام سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى مثله بعد ألفي سنة."

هو ده حكم النبي، هو ده قضاء النبي -عليه الصلاة والسلام-، هو ده قضاء النبي.

ماذا فعل النبي مع الذي وقع في حدٍّ من حدود الله؟

أرجع وأقول لكم من أعجب ما قرأت ما رواه البخاري من حديث أنس، ورواه مسلم من حديث أبي أمامة، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- و هو في المسجد أتى إليه رجلٌ فقال: "يا رسول الله إني قد أصبت حدًّا فأقمه علي"، أنا بسألك هو الراجل ده اللي أصاب حدّ عمل إيه؟ فكّر معايا عمل إيه، أنا الحقيقة سألت السؤال ده للناس في المسجد وأنا بقول لهم الكلام ده، قالوا زنى طبعًا، إيش عرفك؟

الحديث في صحيح البخاري أو مسلم قال الرجل: "إني قد أصبتُ حدًّا فأقمه علي"، مش ممكن قذف امرأة يبقى حدّه ثمانين جلدة، مش ممكن يبقى زنى وهو محصن يبقى حدّه القتل الرّجم، مش ممكن يبقى قتل واحد يبقى حدّه أن يُقتل به، مش ممكن؟ مانعرفش، ما عندنا حدود، وفيه قصاص، لكن الرجل جه قال: "إني قد أصبتُ حدًّا فأقمه علي".

لم يسأله رسول الله ماذا فعلت، عشان تعرف القضاء ولا الإصلاح الأول، الستر ولا إقامة الحُكْم الأوّل تنفيذ الحكم الأول، الرجل جه للنبي -عليه الصلاة والسلام- الصحابي: "يا رسول إني قد أصبت حدًّا فأقمه علي"، أعرض النبي عنه ولم يسأله ماذا فعلت.

وبعد الصلاة أتى وقال: "يا رسول الله إني قد أصبتُ حدًّا فأقمه علي"، قال له رسول الله: "أليس قد صلّيتَ معنا؟" إنت كنت معنا في المسجد، قلت لي الكلام ده قبل الصلاة وبعد الصلاة، صلّيتَ معنا؟ قال: "بلى، صلّيتُ معكم"، قال: "فإنَّ الله قد غفَرَ لك ذنبك، أو قال: حدّك" صحيح البخاري، لم يسأله رسول الله عملت إيه، ولا عملت مع مين، ولا أيّ ذنب؟ ولا أنت حُكْم القضاء اللي يحكم فيك يحكم بياه، أبدًا، بل تركه النبي مُستترًا.

سبحان الله عشان تعرف أن الحاكم المسلم، أو أن القاضي المسلم، وقاضينا الأول هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يريد أن يتشقى، هو مش مبسوط إنه قاعد على كرسي الحُكْم وانت عليك حُكْم كذا وانت أكلت كذا، ومبسوط ونفسه يشوف الناس بتتجلد قُدّامه، لا لا أبدًا، بل كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يُقدّم الإصلاح أولًا، بأبي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله.

النبي يريّ الصحابة على ثقافة الاعتذار ويحثّهم على التسامح

بل وكان إذا أخطأ صحابيٌّ في آخر يترك النبي هذا ليعتذر لصاحبه، وربما يُعطي النبي -صلى الله عليه وسلم- للمخطيء كلمة يدفعه بها إلى أن يُصلح حاله مع أخيه، مش يزود المشاكل. يبجي واحد مثلاً يشتكي للنبي -عليه الصلاة والسلام-، زي ما بيحصل الأيام دي يبجي واحد يشتكي لك يقول هو بيعمل لك كده ليه، لازم عشان تبقى حبيبه توافقه فيما يقول، تقول له آه إزاي يعملك كده، لا والله ده انت أحسن منه، وهو ما يستاهلش تكلّمه، ابعده عنه، اوعى تكلّمه تاني، خليه هو اللي يتدلّل لك، وهو اللي يجيلك، لا، لا، النبي مش كده أبدًا، لا يجب أن يقضي قبل أن يُصلح -عليه الصلاة والسلام-.

انتوا عارفين أبو ذر الغفاري، تعرفون أبا ذر الغفاري الذي قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حقه: "ما أظلت الحضراء، ولا أقلت الغبراء، من ذي لهجة أصدق، و لا أوفى، من أي ذرٍ شبه عيسى بن مريم" حسنه الألباني، يعني شبه نبي من الأنبياء، كان صادق وعنده وفاء، وزَيّ ما بتقولوا اللي في قلبه على لسانه، وكان قريب من الله جل وعلا، وكان يعيش عيشة البُسطاء، لكنه أخطأ يوماً بكلمة في حق بلال، قال له: "يا ابن السوداء" ورفعت الشكوى إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-.

ما طلعت النبي قال يبقى لازم تشتمه زَيّ ما شتمك، أو يتجلد على الكلمة دي كذا جلدة تعزيراً، لا لا قال له كلمة واحدة بس "إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ" صحيح البخاري ومسلم. الكلمة دي من زمان بتاعت الجاهلية، على كبر سني يا رسول الله؟ آه على كبر سنك، بس، هي دي اللي النبي قالها.

دفعته الكلمة دي كأنها دَفْعَةٌ لِيُصْلِحَ ما أفسد، فأسرع أبو ذر إلى بلال مُعْتَذِرًا إليه، شوف عمل إيه، وضع أبو ذر خده على التراب في معرض طريق بلال وهو يقول: "والله لا أرفعها يا بلال حتى تطأ بقدمك على وجهي"، أنا قلت لك يا ابن السوداء حُطَّ رجلك على وشي ده، فما كان من بلال إلا أن أخذ بيد أخيه أبي ذر واحتضنه لتنزل دموعهما، يقول كل واحدٍ منهما عفا الله عني وعنك، عفا الله عني وعنك، بكلمة النبي -صلى الله عليه وسلم- التي دفعت أبا ذر للإصلاح مع أخيه بلال.

وهذا أبو بكر، انتوا عارفين مين أبو بكر؟ اللي هو يعني بتعبيرنا احنا كده لو وُجد فينا مثل أبي بكر ما تقدرش تقول له كلمة، خلاص أطعم الفم تستحي العين، أبو بكر أكثر من أطعم رسول الله، أكثر من أنفق على رسول الله، أكثر من جاد بماله على رسول الله، بنص كلام النبي -عليه الصلاة والسلام-: "إِنْ مِنْ أُمَّنٍ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بكرٍ، ولو كنتُم مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ" صحيح البخاري.

ومع ذلك مرَّ أبو بكر يوماً -كما في صحيح البخاري- على بلال وعمار وسلمان وصهيب وابن مسعود وغيرهم وهم قاعدين فمرَّ أبو سفيان، أبو سفيان سيد قريش وأسلم وحسن إسلامه، فمرَّ على هؤلاء المستضعفين، فقالوا -وهم ينظرون إلى أبي سفيان-: "والله ما أخذت سيوفُ الله من عدوِّ الله مأخذها"، يعني يقولوا كان المفروض يُقتل أبو سفيان، فجاء أبو بكر وغضب عليهم قائلاً لهم: "أتقولون هذا لسيد قريش؟" اللي هو أبو سفيان، ثم أعرض عنهم، وذهب إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-.

عرض أبو بكر على النبي -عليه الصلاة والسلام- ما حدث، فقال النبي لأبي بكر، وما أدراك من هو أبو بكر، قال النبي لأبي بكر: "يا أبا بكر هل أغضبتهم؟" أنت زعلت المساكين الغلابة دول؟ مش مجاملة بقى، مش علشان أنت مأكلني امبارح وعازمني عندك في البيت يبقى أنت آه صح إزاي يقولوا الكلام دا وانت وانت، لا، القضاء لا مجاملة فيه، الحُكم لا مجاملة فيه، قال النبي:

"يا أبا بكر! لعلك أغضبتهم. لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك" صحيح مسلم.

النبي عارف بيقول الكلمة دي لمن، "لئن كنت قد أغضبتهم فلقد أغضبت ربك"، علطول يُسرع أبو بكر إلى هؤلاء المستضعفين: يا إخواني يا إخواني هل أغضبتكم؟ يعني ساعحوني لو أنا غلطت في حقكم، قالوا: عفا الله عنا وعنك، وغفر الله لنا ولك.

هكذا بكلمات النبي -صلى الله عليه وسلم- يَدْفَعُ الصحابة إلى أن يتحابوا فيما بينهم، أن يؤلف النبي بفضل الله -جلَّ وعلا- فيما بينهم.

إذا وصل الأمر للقاضي فلا شفاعاة ولا مجاملة

قضاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين المسلمين لا مجاملة فيه، مش عشان أبو بكر، ولا عشان أبو طالب، ولا عشان يبقى عم النبي، أبداً.

النبي -صلى الله عليه وسلم- يُعَلِّمُ الصحابة "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ" المذثر: ٣٨. وكُلُّ امرئ بما كسب رهين.

لما جاءت عائشة، مين عائشة؟ حبيبة النبي، و بنت حبيب النبي، وزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الحَمِيرَاءُ، حبيبة قلب النبي -عليه الصلاة والسلام- التي جهر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمام أصحابه بحبها، "أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوهَا" صحيح مسلم. مش أبو بكر، لا، أبو حبيبي يبقى حبيبي، تأتبه وتكلمه في شأن فيرد النبي -صلى الله عليه وسلم- عنها.

وتأتي فاطمة التي لم يحب النبي -عليه الصلاة والسلام- أحدًا في الأرض مثلها، فاطمة، في بيت عائشة، يعني زوجته الحبيبة، و بنته الحبيبة التي ما أحبَّ أحدًا مثلها كما في صحيح البخاري، كل دا يا رسول الله، فاطمة: يا رسول الله لقد أهمَّ قريشًا أمر المرأة المخزومية، بني مخزوم دول من أشرف قبائل العرب، وفيه امرأة يعني الشيطان ضحك عليها وزَّها ومدَّت إيديها، فيعني جايّة تقول له: يا رسول الله، معلش يعني دي بنت فلان الكبير، و بنت علان، ويعني تقدر تقول جايبة طلب ومُضِي عليه من يعني فما يقدرش يرده.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قال لفاطمة، وأسامة بن زيد الحَبِّ ابن الحَبِّ جاي ويضع النبي -صلى الله عليه وسلم- فاطمة حبيته مَثَلًا وفي بيت عائشة يرد النبي على أسامة قائلًا: "أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" صحيح مسلم.

هو دا القاضي العادل، لو بنتي، بيقول لو فاطمة بنت محمد سقرت أنا اللي هقطع إيدها بإيديا، هكذا لِيُؤَصِّلَ النبي -صلى الله عليه وسلم- العدل في القضاء، بأي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله.

زَيِّ ما قلت لك النبي كان يُوَثِّرُ في البداية الإصلاح لكن وصلت للنبي خلاص، وصلت للحاكم المسلم قضاء، وُضِعَت القضية أمام القاضي المُسَلِّمِ خلاص مفيش شفاعاة، مفيش مجاملة، مفيش صاحبي وحبيبي وقريبي ومقدرش أنزله كلام ومقدرش أردّ شفاعته، مفيش الكلام دا خالص، بل قال النبي -صلى الله عليه وسلم- كما روى أبو داود من حديث ابن عمر وحسنه الألباني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدودِ الله؛ فقد ضادَّ الله في أمره" صححه الألباني. يعني وقف ضدَّ ربنا، طالما النبي -عليه الصلاة والسلام- عُرضت عليه قضية وسبقضي النبي محدّش يتكلم خلاص محدّش يقول له علشان خاطري ولا معلش يا رسول الله، مفيش الكلام دا خالص في قاموس النبي -عليه الصلاة والسلام-، طالما وصلت القضية قُدَّامه لا بُدَّ أن يقضي بالعدل.

لذلك الزبير بن العوام حصلت سرقة زمانه ما بين رجلٍ وآخر، فجرى وراءهما قال: تعافوا، تعافوا، سامحوا، قالوا: نسامح إذا وصلنا إلى عمر، عمر كان الأمير، قال احنا هنتسامح بس لما نقول لسيدنا عمر الأول، قال: "لا، إذا وصلت الحدود إلى السلطان فلن الله الشافع والمشفع"، خلاص، لازم السلطان يُقيم سلطان الله في الأرض ويحكّم بين الناس بالعدل علشان كده النبي كان في البداية يقول لهم قبل ما توصل لي اتسامحوا "تعافوا الحدود فيما بينكم".

القاضي يُؤثر العفو ما استطاع إلى ذلك سبيلاً

كنت بقرأ في قصة ماعز الأسلمي والمرأة الغامدية، المرأة الغامدية زنت زمان النبي -عليه الصلاة والسلام- وماعز الأسلمي زنى، والمرأة بتقول للنبي لَمَّا النبي ردّها: "أتريد أن تردّي كما رددت ماعزاً؟"، أنت تفهم إنّ الزنا حصل بين مين ومين؟ من خلال القصص كده، ما بين ماعز والمرأة الغامدية، مفيش دليل على الكلام دا، كنت بقرأ في قصة ماعز الأسلمي والمرأة الغامدية وماعز الأسلمي بالذات لقيت إن النبي -عليه الصلاة والسلام- عمل ١٢ حاجة علشان النبي ما يُقيم الحدّ، يعني مش معنى إنّ فيه حدود إن القاضي يتشقى ويتمنى ويريد أن يُقام الحدّ، لا دا النبي -عليه الصلاة والسلام- عمل ١٢ حاجة علشان يبعد عن إقامة الحدّ.

جاءه ماعز وقال: "يا رسول الله، إني قد زنيت" قال له النبي: "ارجع"، امشي، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- ما كان يقيم الحدّ إلا إذا شهد على نفسه، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قال له: ارجع، في الأول قال: "يا رسول الله، إني قد أصبت حدّاً"، قال له: "ارجع".

اتنين رجع وجه تاني، "يا رسول الله، إني قد أصبت حدّاً فأقيم عليّ"، قال: ارجع. مرة تالته، ومرة رابعة. لما خلاص شهد على نفسه أربع مرات، خلاص بقى هاتولي خالد بن الوليد وهاتولي حمزة بن عبد المطلب وهاتولي عمر بن الخطاب يكتفوه ويعملوه، لا لا النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لواحد من الصحابة: "قم فاستنكهه"، قم شمُّ بقّه ألا يكون شرب حاجة، فقام صحابيّ ليشمّ فمه فلم يجد فيه رائحة خمر، دي رقم خمسة بعد ما ردّه أربع مرات يشمّ ريحة بقّه، مفيش خمر.

سابه النبي -عليه الصلاة والسلام- وكلم الصحابة: "أبِه جنون؟" النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول للصحابة: الراجل دا مجنون؟ جاي يقول لي أنا عملت.. مجنون؟ قالوا: لا يا رسول الله ليس به جنون، دي رقم ستّة. رجع النبي للرجل، قال: "لعلك قبّلت" لا يا عمّ دي كانت قبلة وخلاص، قال: "بل زنيت". النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول له: "لعلك فاخذت" يعني لم يحدث زنا، قال: "زنيت يا رسول الله".

قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: الزنا -عفوًا يعني معلىش- الزنا مثل هذا في هذا، النبي عمل كده -عليه الصلاة والسلام-، الزنا مثل هذا في هذا، قال: زنيت.

قال له النبي -عليه الصلاة والسلام- رقم عشرة كلمة أنا مش هقدر أقولها ثابتة في صحيح البخاري اللي هي المعنى الدارج للزنا وسط الناس، قال له النبي: أ.....، أنت عملت كذا؟ سمى النبي الزنا باسمه ليتفحش القول يمكن يقول لا، فهذا هو الأمر العاشر، النبي -عليه الصلاة والسلام- يُسمي الزنا باسمه يقول له انت عملت كذا؟ يقول له: نعم فعلت، عشر حاجات، أنا قلت لكم ١٢، عارفين إيه كمان؟

وهمم بيقيموا عليه الحد ما عز الأسلمي حطوه في الأرض وغطوه لغاية منتصفه وبدؤوا يرموه، ألمه لسع الحجر، يعني من كتر الضرب ألمه، ففرّ، هرب، فتبعه الصحابة ورجموه، فلما أخبروا النبي: يا رسول الله همم ما عز أن يهرب فتبعناه ورجمناه، قال النبي: "هلا تركتموه"، كنتوا سبيوه يهرب، يتوب الله عليه، ويتوب إلى الله، يعني النبي -عليه الصلاة والسلام- مش عاوز يُقيم الحد، نفسه ما يقيمش الحد، حتى بعد كل دا رقم ١١ جه يهرب النبي قال: "هلا تركتموه" سبيوه يهرب.

رقم ١٢ هو اللي بيزني دا مش بيزني مع امرأة؟ لم يرد في أي رواية ولا في أي حديث أن النبي قال له طب هي مين؟ علشان يجيبوها، خالص، ماجاش النبي وقال له طب قبل ما السر بتاعك يندفن مع رجلك قل لي هي مين الأول علشان نجيبها هي كمان، لا، ما سأله النبي -صلى الله عليه وسلم- أبدًا، فلو اختارت الست فديننا يسعي إلى الست، هكذا النبي -عليه الصلاة والسلام-، هو دا علشان لما نقول للناس أن القضاء الأول في الست والأولى فيه الإصلاح والأولى فيه العفو، يبقى هذا هو القاضي الصالح.

قال النبي أو قال أنس بن مالك كما روى أبو داود والنسائي بإسناد حسنه الألباني رُفِعًا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا المشهد قال:

"ما رأيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ" صححه الألباني.

يعني النبي -عليه الصلاة والسلام- واحد مثلاً قطع إيد واحد المفروض التاني يقطع له إيده، يججوا الاتنين قدام النبي -عليه الصلاة والسلام- النبي يقول للي إيده مقطوعة: سامحه، اعفُ عنه، ربنا يعفو عنك، تجاوز عنه يمكن ربنا يدخلك الجنة بهذا، خلّي بالك إن "فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ" المائدة: ٤٥، ممكن لو تصدقت بابتك اللي هو قتله ربنا -عز وجل- يدخلك الجنة بهذا، يظل النبي يقول ذلك، هو دا القاضي -صلى الله عليه وسلم-، هو دا الذي يَحْكُمُ بين الناس بالعدل لكنه قبل هذا الحُكْمُ وقبل هذا القضاء يُقَدِّمُ العفو، بأي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله.

بل ينظر النبي إلى الواقع، مش أي واحد يقيم عليه الحد، يعني افرض واحد سرق مش أي واحد سرق يُقام عليه الحد، مش أي واحد يُقام عليه الحد، إنت عارف لو واحد حاطط بضاعته قدام المحل وواحد جه سرقها لا يُقام عليه الحد؛

لأنّ بضاعته معروضة، إنما لا يُقام الحد إلا في المال المحرز، دا بنصّ كلام النبي وهقول لك دلوقت إزاي، إنت عارف لو امرأة سرقت زوجها أو زوج سرقت مراته لا يُقام عليهما الحد، لو خادم خدّامة سرقت الذهب بتاع الستّ اللي شغالة عندها لا يُقام على الخادمة الحد لأنّها في البيت، لو واحد جعان وسرق اختلس لا يُقام عليه الحد، دا النبي اللي قال ذلك، كما روى أصحاب السنن الأربعة وفي مسند أحمد وعند ابن حبان من حديث جابر وصححه الألباني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"ليس على المنتهب، ولا على المختلس، ولا على الخائن قطع" صححه الألباني.

يعني لو واحد قُدّامه الفلوس شغّل على كاشير وسرق منها، خان، لا يُقام عليه الحد، مش لأنه مش سارق ولا لأنه مش خاين، لا، لأنّ المال سايب قُدّامه. المنتهب يعني حاجة معروضة ونهبها وجري لا يُقام عليه الحد. ولا على المختلس اللي المال تحت إيده وسرق منه، إلى غير ذلك. بل لا يُقطع أحد الزوجين من الآخر، ولا الخادم من سيّده.

ليعلّم الجميع أنّ القاضي لا يريد أن يتشقى، ولا يريد أن يرى الدماء، ولا يريد أن يرى إقامة الحدود، ولا يريد أن يرى تقطيع الحد، بل يريد الإصلاح أولاً، وهذا هو رسول الله.

إذا وصل الأمر للقضاء فلا خيار سوى العدل دون مجاملة

لكن إذا وصل الأمر للقضاء فلا بُدّ أن يقضي بالعدل لا مجاملة، لما سُرق رداء صفوان بن أمية -رضي الله عنه-، صفوان بن أمية كان نايم في المسجد فجه واحد سرق الرداء بتاعه، الغطا بتاعه، العباية بتاعته، سرقها ومشى، أمسك به صفوان بن أمية فقال: "لأرفعنك إلى رسول الله"، فلمّا رفعه إلى رسول الله أمر النبي بقطع يده، فقال صفوان: يا رسول الله أتقطع يده في رداء بثلاث أو بستّ أو بسبع لا أذكر العدد. فقال النبي: "بلى، تُقطع يده"، خلاص، قال: "يا رسول الله، إني قد وهبته له" أنا اديتهوله هدية!

قال النبي: هلا ذلك، "فهلاً كان هذا قبل أن تأتيني به" صححه الألباني.

كنت سامحه قبل ما يجيلي، كنت سامحه قبل ما يجي عندي، هو دا الحاكم، هو دا القاضي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يعني بيقول له لو أنت كنت كويس كنت سامحه قبل ما يجيلي، لكن جالي خلاص، لا بُدّ أن أُقيم عليه الحد، هذا هو النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-.

حال القضاة المؤسّف في زماننا

وأختم هذه الحلقات بما سمعته من الشيخ كشك -رحمه الله تعالى- يحكي قضاء زماننا، الشيخ كشك الله يرحمه انتوا عارفين كان يعني بسجيته تخرج الطرفة منه دون تكلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر الله لنا وله، يقول لك أنّ رجلاً غنياً اختصم مع رجل فقير وعرض الأمر على القاضي، فذهب الناس إلى الفقير قالوا له إنّ القاضي دا مُرْتَشِي ولو أنت غمزته بحاجة ولا زرتة بهدية ولا اديته رشوة هيحكم لك بكره، قال خلاص، فالفقير راح البيت دور ما لاقاش في بيته إلا ورة، قال خلاص هاخذها وأطلع على القاضي، طلع على القاضي بالليل اذّاله الوزة ودخل له قال له إنت

عارف إن أنا مظلوم وعلى قدّ حالي والأغنياء دول آكلينها والعة، قال له خلاص دا حقك فعلاً والحكم بكره ليك طبعاً، دا حقك، سيب بس الوزّة واتفصل..

شويّة والغني عرف راح واخذ خروف وطالع على القاضي، دا غني بقى، دخل على القاضي بالخروف الراجل كل ما يبجي يتكلم الخروف يماً طبعاً يعني يسنده، قال له طبعاً دا همّ حاسدينكم على النعمة اللي انتوا فيها، أصل همّ يعني شافينكم وإنّ عارف بقى مغلولين من النعمة اللي إنتوا فيها، إنّما إنت صاحب الحقّ، سيب بس الخروف واتفصل. طلع الاتنين كله مطمّن إنّ الحكم له..

وقف القاضي ليحكّم بينهما؛ فحكّم للخروف، فوقف الفقير ومنّ معه، فيه إيه؟ إنت مش أدّيته وزّة؟ آه أدّيته وزّة، أوّمال ما حكملكش ليه؟ فالقاضي بصّ عليهم كده وقال لهم: "لا تُوزّوزُوا فإنّ الحقّ نطّاح".

هذه وإنّ كانت طرفة لكنّها والله تحكي قضاة زماننا، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وصدّق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قال: "قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة" صححه الألباني، يُعلّق على هذا الحديث واحد من المصريين فيقول: قاضٍ في الجنة، وقاضيان في مصر.

دعاء الخاتمة

نسأل الله السلامة والعافية، نسأل الله -تعالى- أن يردّ المسلمين إلى الحكم بالعدل كما أمرنا الله -جل وعلا- "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" النساء: ٥٨.

ونسأل الله أن يردّ قضاءنا إلى أن يقتفوا أثر نبينا -صلى الله عليه وسلم-؛ ليعزّهم الله -جل وعلا- في الدنيا وليكرمهم في الآخرة، وأسأل الله تعالى أن يسترنا وإياكم في الدنيا والآخرة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفرّغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>